النظام السوري أمام التصعيد العسكري والابتزاز السياسي

الموقف السياسي الثوري هو أساس الصمود

يبدو ان زمام المبادرة العملية في التصعيد العسكري الرجعي قد انتقل من الفاشيين الى النظام السوري . هذا ، بالرغم من التصعيد السياسي والضغط الذي يمارسه الفاشيون في اتجاه التصعيد العسكري .

لقد نصح الامريكيون حلفاءهم من الفاشيين بالتريث قليلا قبل الاقدام على اية مبادرة منفردة في اتجاه التصعيد من شأنها ان تؤدي الى نتائج غير مضمونة .

وقد عاد الجميل الى معاتبة الامريكيين لانهم ما زالوا حتى الان بصدد « جمع المعلومات » عن الوضع في لبنان . فقد اعرب الجميل عن خيبة امله « لان بلدا هاما وكبيرا مثل الولايات المتحدة لا يزال في مرحلة جمع المعلومات فيما يتعلق بلبنان » . («المحرر» ٣٠-٨-٧٦ نقلا عن مجلة الموندي مورننغ الصادرة في ٣٠-٨-٧٦)

ان الفرق بين مواقف الفاشيين وبين الموقف الامريكي هو الفرق بين الذي يغلب النظرة المحلية في الصراع ، وبين الذي ينظر الى الصراع المحلي بصورة اشمل من خلال صلته بالمنطقة والموقف الدولي ، بهدف توفير المقومات والاستعدادات اللازمة التي تساعد اكثر على حسم الصراع بالنسبة للصعيد المحلي نفسه .

ان الفاشيين لا يخفون انزعاجهم هذه الايام من طلب امريكا لهم بالتريث قليلا . وهم من جانبهم ، لا يكفون عن الضغط في اتجاه التصعيد السياسي والعسكري من خلال الحديث عن « تحرير الارض كلها » وان « الحرب طويلة واننا لا نزال في بداية الطريق » .. الخ ... والعمل ، بالتالي ، على زيادة التنسيق العسكري والسياسي (انشاء قيادة عسكرية) موحدة بين معظم الفصائل الاساسية) .

المألف للنظر ، ان الفاشيين يطرحون برنامجا رجعيا فاشيا جذريا (اذا صح التعبير) . انهم لا يرضون بديلا عن لبنان رجعي موحد ، وازاء اية صعوبة سيواجهونها فانهم لا يتورعون عن اقامة نظامهم الرجعي الفاشي في المناطق التي يسيطرون عليها ، والقيام ، بالتالي بممارسة ابتزازهم سواء من خلال الدعوة الى اعتماد نظام الكانتونات ، او اللجوء في النهاية ، الى شكل من اشكال التقسيم . وذلك كمحطة لمواصلة هدفهم ، بالاستناد على الهجمة الرجعية الامبريالية الصهيونية الشرسة في المنطقة العربية ، من اجل تصفية النضال الوطني والديمقراطي الفلسطيني واللبناني .

وبالمقابل ، ما زالت الحركة الوطنية والمقاومة لا تطرحان اي برنامج سياسي ثوري جذري من اجل النضال لتحقيقه وبالرغم من كل الصعوبات فالفاشيون يطرحون برنامجهم ويعبئون وينظمون على اساسه « تحرير كل لبنان » بالرغم من شتى الصعوبات وكونهم لا يسيطرون حتى على ربع مساحة لبنان .

مخاطر عدم وجود استراتيجية ثورية :

ان الوقوف على ارض الدفاع والتردد دون طرح استراتيجية ثورية مقدمة للعمل على مختلف الصعد .. من شأنه ان يؤدي الى مزيد من التشرذم والتخبط والرقص على دفوف الاعداء .. فلا تكتيك ثوري بدون استراتيجية ثورية ...

كما ان وحدة القوى الوطنية والثورية هي وحدة الموقف السياسي الثوري الذي يطرح برنامجا ثوريا منسجما بالنسبة لشتى المواقف والقضايا، ان « الروح الدفاعية » ، من الوجهتين السياسية والعسكرية ، هي كما يقول انجلز : « موت كل انتفاضة او ثورة مسلحة .. فأنت هالك لا محالة قبل ان تهاجم اعداءك » ..

والحديث هنا عن « الروح الدفاعية » ابان ذروة احتدام الصراع المسلح ، وليس عن اضطرار القوى الثورية في لحظات معينة الى التراجع التكتيكي العلمي المنظم .

ومما لا ريب فيه ، ان الاعداء يعلمون سياسيا الثوريين ايضا .. فلنتعلم من الفاشيين والحلف الرجعي ، الجذرية والتصميم والاستقامة في سياستهم الرجعية بطرح استراتيجية ثورية جذرية ومصممة ومستقيمة ايضا !

موقف الحكم السوري في اتجاه التصعيد :

نعود ، بعد هذه المقارنة الى موقف الحكم السوري : فازاء تفاقم الاوضاع التي بات يعانيها هذا النظام من خلال تدخله الرجعي في لبنان ، فانه لم يعد يملك اما التراجع ، او المضي في مخططه .. والاحتمال الثاني هو اقرب الى المصالح الطبقية للنظام وتعبير عن منحى توجهه الحتمي في ركاب الامبريالية ومخططاتها في المنطقة . ثم ان تحالفه مع القوى الفاشية وتقديمه كل الدعم والتسهيلات اللازمة ، لا يقابل بالنسبة للحليف بتسهيلات سياسية مقابلة تمكن النظام السوري من تزييف وجهه وذلك كالسماح لقواته بالتواجد في المناطق التي يسيطر عليها الفاشيون بحجة ان القوات السورية جاءت للعمل على وقف « الاقتتال » وانها تملك صفة « محايدة » من حيث المظهر على الاقل .

ان النظام السوري ، سيحاول من خلال التنسيق مع سركيس والكتائب بشكل رئيسي ، الى القيام بحملة عسكرية قريبة الغاية منها (تعتمد على امكانية التصدي في احتاطها بالطبع) اما توجيه ضربة قاصمة للمقاومة والحركة الوطنية ، او الحاق ضربة موجعة تمكنه وحلفائه من تنفيذ ما يشاء دون معارضة . ولكن احباطها يعتمد على التصدي السياسي والعسكري . فقد يفشل النظام وحلفاؤه فشلا ذريعا . الا ان النظام مصمم ، سواء قبل استلام سركيس او بعده مباشرة ، على القيام بخطوة عسكرية تمكنه من تحقيق ما سبق ذكره ، كما تجعله ، من الناحية الشكلية ، يدخل الى بعض مناطق القوى الفاشية بحجة انه جاء لوقف الاقتتال نهائيا وتمكين سركيس من استلام مهامه واحلال السلام والظهور ، بالتالي ، بمظهر المحايد الذي جاء هذه المرة ليضرب « تطرف » الفريقين .

ان زمام المبادرة العسكرية ، حتى لو بدأ الفاشيون في محاولة تفجيرها ، هي في يد النظام السوري ، **فهو الذي سيقرر ويحسم مسألة السير في التصعيد العسكري ام لا .**

والاعتقاد المرجح ان الامريكيين يفضلون « ضبط » الوضع من خلال السوريين والانظمة العربية شرط الا يتم ذلك على حساب ضرب نفوذ احتياطهم الامين من القوى الفاشية . ولكنهم يفضلون التعامل من خلال الانظمة العربية للسيطرة على الوضع في لبنان (وكما اورد ذلك دين براون) منعا لتفجير حساسيات كثيرة هم في غنى عنها .

فالاميركيون من اجل تنفيذ مخططهم يخشون من تورط حلفائهم الاساسيين (اسرائيل والفاشيين) في عقد تحالف سافر من شأنه ان يورطهم في تفجير اوضاع المنطقة وتخريب سياستهم .

الضوء الاخضر للنظام السوري

ان الامريكيين يقطعون الان الضوء الاخضر للنظام السوري، (من خلال السعودية والسادات وغيرهما من الانظمة الرجعية) للاستمرار في مخططه . فمن تأجيل اجتماع وزراء الخارجية العرب ، الى الدعوة لتقليص مؤتمر القمة العربي وحصره في عدد من الدول الرجعية السافرة كل هذه وغيرها مؤشرات واضحة في هذا الاتجاه يضاف الى ذلك الحشود والاستعدادات العسكرية السورية الجديدة الضخمة .

فالوضع اللبناني ، في حال استمرار شكل القتال (حتى على المنوال الحالي لفترة من الوقت) ، سيكون عنصر تفجير سياسي خطير على صعيد المنطقة وداخل سوريا نفسها . ومن هنا الرغبة العميقة في تدارك تفاقمه ليس من خلال حلول وسطية ، بل في اتجاه ضرب القوى الثورية . والنظام السوري بقواه العسكرية الضخمة هو المرشح الافضل للقيام بمحاولة حسم هذه المسألة . هذا بينما اقتصر دور الفاشيين على تفجير الصراع واحراز عدد من المكاسب العسكرية والسياسية ولكن في ظل الوجود العسكري السوري نفسه .

ان اشارات براون حول خطر تحول لبنان الى اليسار واحتمال وجود نظام تقدمي مسألة تقلق مضاجع الامبرياليين ، وبدون ريب ان هناك علاقة تأمر وطيدة ، بدأ ارساء مسحاتها الاخيرة الملك حسين منذ انقلاب ميزان القوى لصالح الحركة الوطنية والمقاومة ، بين النظام السوري وامريكا تم على اساسها اعطاء الضوء الاخضر للنظام السوري كي يشن هجومه بدون اي رد فعل من جانب اسرائيل ومقابل ان يزداد نفوذه وسيطرته على الوضع اللبناني .

ان جريدة « الثورة » السورية الناطقة بلسان الحكومة لا تحجم عن الافصاح بكل وضوح عن مخطط النظام السوري ، « الاسد وسركيس سيناقشان مختلف الموضوعات الخاصة بالازمة اللبنانية واعادة بناء لبنان ابتداء من الصفر . وسيبحثان ايضا العلاقات الجديدة بين لبنان وسوريا والعلاقات بينهما وبين الاردن ، وايضا بينهما وبين فلسطين » .

لاحظ تعبير « فلسطين » بدون اي تعبير سياسي او اشارة الى المقاومة او منظمة التحرير.

وقد دعت الصحيفة ، ايضا ، وبصراحة الى « اقامة الاتحاد الفيدرالي السوري - اللبناني - الاردني - الفلسطيني » مؤكدة « ان زيارة سركيس الى دمشق يجب ان تتبعها لقاءات منظمة في بيروت وفي دمشق وفي عمان وفي اي مكان اخر ، سواء اكان مدينة او قرية على اساس اتخاذها كعاصمة اتحادية » . ودعت - ايضا ، الى « جيش ووزارات اتحادية ، يمكن ان تكون محدودة البداية وتتمتع باستقلال ذاتي» وذكرت على سبيل المثال « وزارات اتحادية للاعلام والتربية والثقافة والسياحة .. على ان تأتي وزارات الدفاع والخارجية والداخلية والاقتصاد بعد ذلك ، ثم يتم تشكيل مجلس تشريعي اتحادي » .

(« السفير » ٣٠-٨-٧٦ .)

ان دخول صحيفة الثورة في كل هذه التفاصيل .. ليس معزولا عن التوجه السياسي للنظام في المرحلة القريبة القادمة في لبنان .

من استفاد من اتفاق دمشق ؟

ولنذكر ان اتفاق دمشق المذل نفسه ، لم يجر تطبيقه .. كل ما في الامر ان النظام استطاع من خلال هذا الاتفاق تنفيس مجموعة الضغوط الداخلية والخارجية الواقعة عليه ! والواقع لا رغبة للنظام السوري في تطبيقه . باعتبار هذا الاتفاق يعكس اوهام القيادة الفلسطينية بوجود حل وسط للازمة . وهذا الاصرار السياسي لا بد ان يعبر عن نفسه باشكال عسكرية وبعملية ابتزاز سياسية اكبر للقيادة الفلسطينية تحت الضغط العسكري او محاولة فرض الامر الواقع بتوجيه ضربة عسكرية . الا ان ذلك مرهون بنوع الاستعدادات واليقظة الثورية لدى المقاومة والحركة الوطنية . فمن هنا ينبغي بذل اقصى درجات اليقظة والحذر السياسية والعسكرية خلال الايام والاسابيع القليلة القادمة .

الموقف السياسي الثوري هو اساس الصمود

ان الصمود الثوري سيضع انعطافة تاريخية حادة في كل المنطقة العربية . كما سيمكن اي دعم صديق من اخذ مداه وفعاليته ..

ينبغي رفض الخضوع لاي ابتزاز سياسي ، والاستعداد للتصدي العسكري . وهذه المرة من المتوقع ان يكون الهجوم متعددا (مشاة ، بحرية، طيران ، مدرعات) ، ومن المرجح ان يركز على الجبل ومنطقة عاليه (جنبلاط) .

ان اقوى سلاح يمكن ان تملكه الحركة الوطنية والمقاومة واية قوى ثورية ، هو الصلابة والوضع السياسي . ان اي تنازل يعني انهيارا معنويا خطيرا من شأنه ان يهدد اية امكانية للتصدي العسكري بالرغم من كمية السلاح وعدد القوات المسلحة الوطنية .

فالوضع المعنوي هو اساس الصمود ، وهو مسألة ترتبط بالموقف السياسي الثوري بكل ما يستلزمه من استعدادات عملية .

ومما يرجح توقع هجمة عسكرية سياسية جديدة من قبل النظام السوري هو ازدياد تردي المناخ الرجعي في المنطقة .

الكويت : وتقييد الحريات الديمقراطية والوطنية فيها ، مصر : التهجم على اليمن الديمقراطية والمساهمة في الحملة على الصحف الكويتية . ولا ننسى تصريح السادات قبل فترة وجيزة جدا بأنه « لا يسمح ان تتحول مصر الى بلد كلبنان » ، ليبيا : الحصار السياسي والاعلامي والعسكري ، والتنسيق التآمري بين السعودية ومصر والسودان ضد النظام الليبي .

ان الصراع في لبنان الان هو مفتاح المنطقة ، فاما ان يفتح الباب على ظلام رجعي دامس ، واما ان يفتح الباب على فجر تاريخي جديد . والامور هنا لا تقاس بالاحجام ، ولكن بالدور السياسي الثوري .

ومن هنا ، ايضا تنبع المسؤولية التاريخية الاستثنائية الملقاة على عاتق القوى الثورية المنسجمة .

ط. ش.